



«صرفت عمراً لأرسم للأطفال»

العالمي الإسباني: خوان ميرو

* * *

قدّم لوحاته، أي نفسه: «أنا المهزّج أرسم أطفالاً صغاراً» هل أن الرسام الشاب إبراهيم جوابرة «بيلياتشو» يلهو ليضحك الأطفال بريشته زاهية الألوان، لتنوب عن زيّه المضحك وحركاته؟ متى قال خوان ميرو عن الرسم للأطفال؟ ربما كان في نصف عمر الشاب - الطفل إبراهيم جوابرة. يقولون بين الثلاثين والأربعين عقد سنوات بدء نضج الفنان، وفي الـ ٣٢ من عمره أقام معرضه الفردي الأول تحت مسمى «مكان آخر» في غاليري «وادي فينان» - عمان. لما رأيتُ ملصق (بوستر) المعرض نويت، ثم انتظرت «الكاتالوغ»، ثم استعرت عيون صديقه بلال الخطيب الذي حضر الافتتاح وكتب عنه.

.. والآن، سأسميه «قنصل الأطفال» في لوحات معرضه الـ ٢٧، وجميعها أنجزها في العام الجاري. لكل ناقد رؤيته، وأنا لست ناقداً، لكن لي رؤيتي: أركان الإسلام وأركان الإيمان خمسة، وأصابع الكفّ خمسة، لكن الخماسية في لوحاته ستقول: هكذا هي خماسية «العائلة المقدّسة»: الوالدان، الولد، الحيوان والنبات. هل مجرد مصادفة أن اختار إبراهيم القطعة من بين الحيوان: لعبة الأطفال الحية الأولى: وديعة مستأنسة مطواعة مثلهم، وعاصية متمردة مثلهم، وتعطيهم أول درس في الأمومة والحياة والتكاثر. هل للقطعة مزاج امرأة، أو لها مزاج الطفل؟ أسألوا لوحات الفنانين الفراغنة!

الوجوه في كل لوحاته تحمل السمات ذاتها، والابتسامة ذاتها، والقطط في لوحاته هي ذاتها مخططة بالأبيض والأسود، وأما بحر الألوان الزاهية - الساطعة فهو لما يرتديه أطفاله في كل لوحاته (الجوهر واحد والشكل متغيّر)، وكما في معرض صديقه بشار الحروب الحزينة القاتمة - العارية، لا تميز طفلاً عن طفلة.

قبل معرضه الفردي مرّ إبراهيم بمرحلة التجربة العكرة: أعمال أدائية. تركيب - تصوير، ثم ابتعد عن «المكان» الفلسطيني إلى «مكان آخر» أردني. درويش قال: «ما أضيق الأرض التي لا حنين فيها إلى أحد» .. وحنين إبراهيم إلى المكان - الوطن هو الحنين إلى العائلة، وزمن الطفولة والأصدقاء، وربما كما يقول صديقه بلال فإن هذا الكمّ الهائل من الألوان هو تعويض عن هذا الحنين، إلى الأسرة والأصدقاء و«المكان». تكفي «هجرة» حتى إلى مكان قريب من المكان لتحنّ إلى المكان الأصلي.

عام أو أقل قليلاً أو أكثر قليلاً، في الأردن وعمان فإذا به يكرّس ريشته للأطفال، فإذا «خربش» الأطفال نسوا ما يسمى «المنظور» في ما يسمى رسومات، وحضر البعد الواحد - المسطح غزير الألوان.

لكن البعد الواحد في الملصق أو حتى في كاتالوغ المعرض غيره البعد إن رأيت اللوحة أصلية معلّقة، فرؤية عين الكاميرا غير رؤية عين الإنسان، ورؤية عين الإنسان غير رؤية القطعة والكلب لهيئة الإنسان، ورؤية الفنان للقطعة والكلب في لوحاته غير رؤيتها كما هي في الواقع.

ما هو المتحرك في لوحاته إن قلنا ان الوجوه هي ذاتها والابتسامة هي ذاتها؟ إضافة ألوان الملابس الزاهية المختلفة (الثابت - المتحرك)، هناك حركات القطط وحركات الأيدي التي تمسك بحركات القطط.

أعرف ان ابراهيم ليس أليفا - مستأنساً (هل ثمة فنان أليف) لكن لوحاته المسطحة - ذات البعد الواحد أليفة، فإن نطقت فهي تنطق بالفرح والفراريد. وأكثر من لوحات الرسام المصري حلمي التويني الذي يستوحى ألوان المقابر الفرعونية.

يمكن ان تعلقوها في غرف أطفالكم. يمكن ان تصير كل لوحة ملصقاً، ولذا ففي الافتتاح، تحت رعاية الأميرة رحمة بنت الأمير الحسن علقوا في طرفها - قال بلال - ست دوائر حمراء صغيرة، وربما ستباع لوحاته كلها (من ٤ - ٦ آلاف دينار للواحدة).

التسويق في عمان ذات الـ ٣ - ٤ ملايين، غيره بالتسويق في الضفة، وكان قبل معرضه الأول «مقرراً» ولن يعود كذلك.

«أنا المهزّج» «أنا البلياتشو» أنا قنصل الأطفال .. تعالوا الى لوحات كمسرح الدمى .. حلقوا معي في فضاء الطفولة. انسوا لوحات أبو زيد الهلالي المسطحة أيضاً.

حسن البطل